باب المراسلة والمباطرة

طرائف في الادب واللغة

نجيب خاقين

عود على بدء

ان الصحافة والاذاعة والسينما المكنى عنها « بالشاشة » طرائق عظيمة النفع في التعليم والتقويم اذا أحسن استعمالها وهي عظيمة الضرر اذا أسيء . واللغة وهي غرضنا الأول من هذا المقال لا تشمل سوى الطريقة الاولى . ونحن موردون منا ما يعلق بالذاكرة من هفوات صحفنا الكبرى ومبينون سوء تأثيرها في العالم العربي لسعة انتشارها . ولو راعت ذلك لاستطاعت استبدال الأثر الحسن بهذا الأثر السيء الذي ساعدها انتشارها على اذاعته بين الناطقين بالضاد

ومن الأسف ان محطات الاذاعة العربية المنتشرة في العالم العربي وغير العربي تنقل اخطاء صحفنا كما هي لأن مجال التحقيق دونها ضيق . وانصافاً لاذاعتنا نقول انها تنقل عن صحفنا فلا يبقى لها من لغة الاذاعة سوى قليل تسأل عنه . وغني عن البيان ان السينما تخرج عن نطاق بحثنا هذا

ومما يجدر الاشارة اليه ان هذا البحث هو حلقة متأخرة من بحث بدأته سنة ١٩١٨ في المقتطف فنشرت نبذ منه بهذا العنوان وبامضاء مستعار هو امضاء « سهيل »

١ — نقل الشعر الغربي الى شعر عربي

هذا موضوع جديد لم يطرقه أحد من قبل وأريد به نقل الشعر غير العربي الى العربية نظماً . ولا يخفى ان كثيراً من الشعر اليوناني القديم نظم الى لغات أوربا فنظم پوپ الشاعر الانكليزي مثلاً شعر هوميروس — الياذته والاوديسي عن حرب طروادة بشعر مقفى واشتغل غلادستون في ساعات فراغه من السياسة بنظم قصائد ڤرجيل نقلاً عن اللاتينية

هذا في الانكليزية أما في العربية فقد نقل بعض الشعر الاجنبي القديم اليها شعراً كالياذة هوميروس نظمها المرحوم سليمان البستاني وحاز غلاء ثمنها دون انتشارها وتداول الايدي لها. ولا أعلم بنقل شعر أجنبي كثير غيرها الى العربية ما عدا منظومات قصيرة نشرت آناً بعد آن

لهذا الشاعر او ذاك ترجمها شعراً شاعر عربي في الشام اسمهُ الشيخ ابرهيم الحوراني في أواخر القرن الماضي وتوفي في أوائل القرن الحالي — أذكر الآن ما يعلق بذاكرتي منها

ترجم مرثية لشاعر انكليزي لا أذكر اسمه رثى فيها ابناً لهُ فقال :

هل مات لست على اليقين بقادر اذ لا أزال أراه وسط الناظر
لكن اذا حجبتهُ عني أدمعي فالطيف يبقى مصوراً في الخاطر
أمضي الى الأسواق سبّاقاً الها فأراه يلقاني بوجهٍ زاهر
فأجسهُ بيدي وأعلم انهُ ولدي يقيناً ليس صورة ساحر
هل ذاك هو أو ذاك يشبههُ فيا لله لست على اليقين بقادر

(ولست واثقاً بصحة صدور البيت الأخير)

وترجم لشاعر آخر أبياتاً نظمها بلسان أرملة تندب زوجها فقال :

خلوا الحزينة عند قبر حبيبها تبكي الى أن تنتهي الأيامُ
فلعلَّ دمعي يمحو عار الأسى ولعلَّ عيني بعد ذاك تنام
ولعلَّ قربي من ثراه نافعي وهما فقد تشفي الضنى الأوهام

وترجم قصيدة طويلة للشاعر لونجفلو الاميركي لا أذكر منها سوى ثلاثة أبيات وهي :

حسب قضاء الله ما تحت الفلك من معتبر إلاَّ وفيهم من هلك
وليس في القطعان من قطيع بلا فطيم مات أو رضيع
تكاد من ذا الحتف أرواح الجلد تكون أنفاس زفير وكمد

وترجمت أبياتاً للشاعر الانكليزي اللورد تنيسون من قصيدته المشهورة « إن مموريام »[1] أي الذكرى خاطب بها السيد المسيح عليه السلام فقلت بتصرف قليل في البيت الأول :

أيهذا الحب المخلد يا من نجتليه بأعين الايمان
انا لا نراك لكننا نقبل دين الهدى جلا برهان
علمنا بالأمور لا يتخطى ما نراه أمامنا بالعيان
يا ابن من جاء الهدى نوراً فيبلو ظلام ذي الأذهان

وفي ترجمة الشاعر الحوراني رقة لا تنكر ولاسيما ان في ترجمة الشعر الى الشعر صعوبة كثيرة لما يقيد المترجم من القيود التي يعانيها المترجمون من النثر الى النثر . ومن نماذج رقة شعره غير المترجم قوله في مدح أعمى اسمهُ عثمان كان صديقاً لهُ :

(١) — المنصف : وقد ترجم أمير الحوري الندسي استاذ الادب العربي بالجامعة الاميركية ببيروت قصيدة تنيسون هذه شعراً وطبعها بعنوان « الذكرى »

يا ناظم الشهب الثواقب في الدجى أزهرت للشعراء غير ظلامه
ما أنت عثمان الضرير حقيقة بل أنت ذو النورين في أيامه
لكنما أغضيت عن هذا الورى كيلا ترى ذا الجهل فوق مقامه

وانما ألممت في هذه العجالة بترجمة الشعر علماً مني باننا في حاجة ماسة الى الترجمة من شعر الغرب ونثره وربما كانت هذه الحاجة أمسّ من الكتابة وقد يكون بيننا مترجمون كثيرون يعتدون بالمئات ولكن من لنا بنقل الشعر الغربي شعراً عربياً يقال لناظمه «لا فضّ فوك» أو «هيه هيه» كما قال النبي لأمية ابن ابي الصلت وقد أردفه على ركوبته وطلب اليه ان ينشده من شعره. او يقال له «عشت ولعشت يا زهرة البنجكشت!» وما أشدّ حاجتنا الى نقل ملحمة الياذة هوميروس مثلاً الى شعر عربي سهل ممتنع خال من كل غريب وقريب التناول كما يوصف شعر هوميروس في الياذته بحيث يسهل تداوله على فاشئتنا وتفهمهُ عامتنا ولا تنكره خاصتنا

٢ — كبرى وصغرى وأخرى وأشباهها

ليس بين غلطاتنا غلطة أكثر شيوعاً — بعد لفظة التعريب بمعنى الترجمة طبعاً — من استعمال كبرى وصغرى وأشباههما

فتقول صحفنا ويكتب كاتبونا ان حفلة كبرى اقيمت مثلاً وليس هذا التعبير بالصحيح لان كبرى مؤنث اكبر فكما لا يجوز القول اقيم احتفال اكبر بمعنى كبير كذلك لا يجوز القول أقيمت حفلة كبرى بمعنى كبيرة. وبعبارة أبسط كبيرة مؤنث كبير وكبرى مؤنث اكبر فليس في الأمر مقابلة بباقية فيقال ان كبرى أفصح من كبيرة، كما قد يتوهم المترجمون

وربما حمل على هذا الخطأ شطر ابي نواس في وصف الخمرة وهو «كأن كبرى وصغرى من فقاقعها». وساعد عليه قول العروضيين فاصلة كبرى وفاصلة صغرى بغير اللام وكلا التعبيرين غلط ووهم. جاء في معجمات اللغة :—

« الكبيرة مؤنث الكبير والاكبر اسم تفضيل مؤنثه كبرى والجمع كبر » (بضم ففتح)

وقال سيبويه «لا يقال لنسوة صُغر ولا قوم أصاغر الا بالالف واللام. وسمعنا العرب تقول الاصاغر وان شئت قلت الأصغرون لأي جمع الاصغر بالالف واللام

واقول زيادة في البسط. تقول حفلة كبيرة لا كبرى (بغير الالف واللام) فاذا شئت استعمال كبرى او صغرى او غيرهما وجب ان تضيفها او تدخل «ال» التعريف عليها فتقول : « هند هي كبرى بنات زيد » او « هند هي بنت زيد الكبرى ». ولو قال أبو نواس « كأن الكبرى والصغرى من فقاقعها» لاصاب وأخطأ في الوزن ولكن العروضيين مخطئون على كل حال لأنهم غير مقيدين بوزن فوجب ان يقولوا الفاصلة الكبرى والفاصلة الصغرى

فكبرى مؤنث أكبر وكبيرة مؤنث كبير فكما تقول احتفال كبير ولا تقول احتفال أكبر بل الاحتفال الاكبر كذلك تقول حفلة كبيرة لا حفلة كبرى

ومثل كبرى وصغرى لفظة أخرى والمذكر آخر والجمع أخر . وقد جاء في لسان العرب عند الكلام على «مآرب أخرى» و«عدة من ايام أخر» ما يلي ننقله عنهُ لما فيهِ وعظاً وهداية لكاتبين لا يزالون يقولون لنا كل يوم حفلة كبرى وقضية عظمى وعقلية صغرى . قال اللسان :

مآرب أخرى (الواردة في الآية) جاء على لفظ صيغة الواحد لأن مآرب (الجمع) في معنى جماعة (الفرد)

وقال تعالى : فعدة من أيام اخر » لأن أفعل الذي معهُ « من » لا يجمع ولا يؤنث ما دام نكرة فتقول مررت برجل أفضل منك وبامرأة أفضل منك فان أدخلت عليهِ الالف واللام او أضفته ثنيت وجمعت وأنثت تقول مررت بالرجل الأفضل وبالرجال الأفضلين وبالنساء الفُضَل ومررت بأفضلهم وبأفضليهم وبفضلاهنَّ وبفُضَلهنَّ ولا يجوز ان تقول برجل أفضل ولا برجال أفضل ولا بامرأة فضلى حتى تصله بمن او تدخل عليهِ الالف واللام . وليس كذلك آخر لانهُ يؤنث ويجمع بغير « من » وبعد الألف واللام وبعد الاضافة تقول مررت برجل آخر وبرجال أُخر وبامرأة أخرى وبنسوة أُخر» انتهى كلام لسان العرب

٣ — حقيقة استعمال اكتشف

استعملت اكتشف فعلاً متعدياً منذ أوائل النهضة العربية الحديثة في أواسط القرن الماضي واستعملت معها بعض مشتقاتها فقيل اكتشاف واكتشافات

والواقع ان استعمال اكتشف متعدياً نادر ومقصور على السماع . فقد جاء في معجم « محيط المحيط » للبستاني عن لفظة « اقتحش » اقتحشه معناه فتشه وهو أفعل للتعدي وقد ندر استعماله هكذا . وقد أحسن كتابنا المتأخرون استعمال كشف مكان اكتشف ولعلهم يوفقون الى لفظة أخرى أوجه منها وأدق ولا بدَّ ان يهتدوا اليها لان العربية غنية في ألفاظها وهي مغطاة بقشة كما يقول المثل

أما استكشف التي حاول بعضهم احلالها محل كشف فلا تفي بالمرام كما رأى البعض الآخر ورأيه هو الموفق الى الصواب لان استكشف هي بمعنى طلب الكشف مثل سائر هذه الألفاظ التي من وزن استفعل . فتقول استغزل واستعلم واستنصر واستنجد بمعنى طلب الغزل والعلم والنصرة والنجدة الى آخر ما هنالك وما خالف ذلك فهو نادر

[المقتطف] يسرُّ المقتطف ان يتلقى آراء الأدباء واللغويين في هذه المسائل وما كان من قبيلها استيفاءً للبحث